مقال رأي

مركز البيان للدراسات والتخطيط
Al-Bayan Center for Studies and Planning

حرب قصيرة وتغيرات طويلة الأمد

علي عبد الهادي المعموري

سلسلة اصدارات مركز البيان للدراسات والتخطيط

مركز البيان للدراسات والتخطيط
Al-Bayan Center for Studies and Planning

حرب قصيرة وتغيرات طويلة الأمد

سلسلة اصدارات مركز البيان للدراسات والتخطيط /قسم الأبحاث /الدراسات السياسية

الاصدار / مقال رأي

الموضوع / شؤون إقليمية ودولية

علي عبد الهادي المعموري/ باحث

عن المركز

مركزُ البيان للدراسات والتخطيط مركز مستقلٌ، غيرُ ربحيٍّ، مقرُّه الرئيس في بغداد، مهمته الرئيسة -فضلاً عن قضايا أخرى- تقديم وجهة نظر ذات مصداقية حول قضايا السياسات العامة والخارجية التي تخصّ العراق بنحو خاصٍ، ومنطقة الشرق الأوسط بنحو عام. ويسعى المركز إلى إجراء تحليلٍ مستقلٍّ، وإيجاد حلول عملية جليّة لقضايا معقدة تهمُّ الحقليْنِ السياسي والأكاديمي.

ملحوظة:

لا تعبّر الآراء الواردة في المقال بالضرورة عن اتجاهات يتبناها المركز، وإنّما تعبّر عن رأي كتابِها.

حقوق النشر محفوظة © 2025

www.bayancenter.org
info@bayancenter.org
Since 2014

يكاد المتتبع للتاريخ أن يلاحظ مدى التعقيد الذي يكتنف المنطقة، ويضعها في غضون ظرف بالغ الحرج، ليس بالنسبة للمنطقة وحسب، بل للعالم بأسره، لأن ما يحدث في الشرق الأوسط ليس محصور التأثير في الدول التي تقع ضمن الإقليم المضطرب هذا، فآثار الأحداث هنا تمتد إلى خارج الحدود بكثير، لمركزية الأحداث، ومتعلقاتها الجيوسياسية. نحن نتحدث عن المورد الأهم للطاقة، النفط، في منطقة تحتكر تصدير حوالي 27% من الإنتاج العالمي للنفط، ناهيك عن تأثيرها الكبير في منظمة أوبك.

من جانب آخر، تتقاطع المصالح الدولية في المنطقة بشكل دائم؛ الدول المتصارعة تجد نفسها في مساحة صدام استراتيجي مستمر منذ عقود في الشرق الأوسط، مهما بَعُدَت جغرافياً عن المنطقة. والأمر معقد ومتداخل بشكل كبير بحيث إنه لا يقتصر على ما يتعلق بالنفط وحسب، بل يمتد إلى الاشتباك الثقافي، والانحيازيات الدولية. فالصراع مع إسرائيل يتداخل فيه البُعد الديني، ناهيك عن الكذبة الكبيرة التي تصف الكيان بأنه الدولة الديمقراطية الوحيدة في المنطقة، مما يجعله حليفاً تقليدياً للغرب الديمقراطي.

في هذا السياق، فإن حربَ الـ 12 يوماً تأتي في سياق ملتهبٍ سابقٍ لقيام الحرب؛ تمثلُ انهيارَ النظام السوري ووصولَ التنظيمات الجهادية إلى سدة الحكم في سوريا، وما أعقبه من انتعاشٍ للحركات الجهادية في المنطقة، وهو متغيرٌ بالغُ الخطورة. بدأت نُذُرُه تتضحُ في سوريا نفسها التي تواجهُ أقلياتِها تهديداً وجوديّاً؛ بدأ مع العلويين في الساحل، وامتدَّ إلى الدروز في السويداء، بما تَبعَهُ من تدخلٍ إسرائيلي غبي وغير فعّالٍ في السويداء، ناهيك عن تصاعد نفوذ هذه الجماعات في أجزاءٍ من لبنان؛ تحديداً في طرابلس، الأمرُ الذي ينذر بانجرارِ لبنان إلى صراعٍ داخلي قد ينتهي بحربٍ أهليةٍ جديدة، مع الضغوط الدولية على الحكومة لنزعِ سلاحِ المقاومة، والتهديد الإسرائيلي المستمر.

إن ما تعرض له محور المقاومة، بدءاً باستشهاد السيد حسن نصر الله، مروراً بانهيار النظام السوري، وصولاً إلى الحرب الإيرانية، ينبئُ بتصاعدِ خطرٍ مزدوج ينبغي تقييمُ الأولويات فيه بالنسبة للعراق. يتمثلُ شقهُ الأول بالخطرِ الإسرائيلي والرغبةِ بالقضاءِ على جميع القوى المناوئةِ للكيانِ في المنطقة، والشقُّ الثاني هو الخطرُ الجهادي، الذي ينبئُ بعودةِ القوى التكفيرية إلى نشاطها، والاحتمالُ الخطرُ بأن تستأنف التنظيمات الإرهابية مثل تنظيم داعش نشاطها مستغلةً ضعفَ دمشق تجاه هذه التنظيمات، والخزانُ البشريُّ الهائل من المقاتلين الأجانب والسوريين والعراقيين أنفسهم الموجودين على الأراضي السورية، دون أن نذكر الخطر القائم في مخيّمات المقاتلين وأسرِهم التي تقعُ تحت سيطرة قوات سوريا الديمقراطية (قسد)، والتي تشكّل باحتمالٍ كبير الهدف القادم للجماعاتِ الجهادية بعد الفراغِ من الأقلياتِ الأخرى في سوريا، مما يعني إطلاقَ سراح عشراتِ الآلافِ من المقاتلين المتعطّشين للثأر بعد الهزيمة التي مُنوا بها في العراق.

ويزداد المشهد تعقيداً مع الحديث المتنامي عن رغبة الولايات المتحدة في الانسحاب من المنطقة وتركها للفواعل الداخلية، مما يعني صراعات مسلّحة أكيدة، بين جماعاتٍ جهاديةٍ منتشيةٍ بنصرها السوري، وتجد كلّ من حولها كفاراً لا مناص من قتلهم، قبل استتابتهم حتى، وبين حكوماتٍ وجماعاتٍ تقع ضمن دائرة التكفير هذه. وعلينا هنا أن ندرك أن دائرة الاستهداف لن تقتصر على الأقليات المسلمة أو غير المسلمة، بل ستمتد إلى الحكومات التي تراها الجماعات الجهادية كافرة أو مرتدة، أو متهمة بإعلان الفسق، مما يعني استهداف الدول الخليجية ذاتها.

وهنا، أستعير مصطلحاً لأحد الباحثين العراقيين، وصف فيه خطر هذه المجموعات بتسميتها "الجهادية الجديدة"، التي تعمل وفق منظومة عمل غير تقليدية، وتنظر إلى وضعها بمنظارٍ إمبراطوري، ضمن سرديةٍ جديدة أطلقت عليها اسم "الحلم الأموي». سنلاحظ أن هذه الجماعات

تجاوزت فكرة «الذئاب المنفردة» وسواها، وأصبحت أكثر تركيزاً على تحييد معركتها مع الغرب، والتفرغ للتفاعلات الداخلية التي تراها أوشك خطراً، وأكثر أولوية لأن تُحسم قبل أن تدخل في معركتها الكبرى مع الغرب، بحلم «إمبراطوري أموي» هذه المرّة.

ويمكن القول إن أولوية «الجهاديين الجدد» تتمثل بمجموعتين أساسيتين:

الأولى: الأقليات الدينية، ضمن خطة تشمل إبادةَ جميع الأقليات دون استتابةٍ أو تهجيرٍ؛ لا تريد هذه الجماعات أن تترك لمستقبلها مشكلةً كامنةً في هذه الأقليات قد تقودُ إلى أن تعود إلى الحكم مرةً أخرى كما حصل من قبل في دمشق، وكما تراه حاصلاً في بغداد، الإبادة الشاملةُ هي الخطة.

الثانية: الجماعاتُ السنيةُ غيرُ المنسجمة معهم، وهؤلاء سيكونون صيداً أكثر سهولة؛ فهم غيرُ مسلّحين ولا راغبين في القتال. وسنلاحظ أن العمل تجاههم قد بدأ مبكراً؛ منذ مدةٍ بدأتُ ألاحظُ على منصاتِ وسائلِ التواصلِ الاجتماعي صفحاتٍ تتحدث عن «إسلام أمويّ»، تهاجم نسخةً «الإسلامِ العبّاسي» عبر مجموعةٍ من السرديات يتمُّ استعارتها من دولةِ بنو أمية. أولها الهجومُ على إيران بوصفِها دولةَ بنو أمية: دولةً عربيةً عُصبيّةً لا إسلاميةً، لا متعددةَ الوجوهِ مثل الدولة العبّاسية. الثاني الهجومُ على بنو العبّاس ونسختهم من التسنّن، على سرديات تزعمُ النسخةُ الأمويةُ أن الدولة العبّاسية ابتدعتها، مثل المكانةِ الاستثنائيةِ للإمام عليّ، وأن أهلَ البيتِ هم آلُ عليّ وبنو هاشمَ بالنطاقِ الأوسع وفقَ العبّاسيين، وصولاً إلى نزعةِ إحياءِ النسخةِ العثمانيةِ من الإسلام، التي تقفُ بالخلافةِ الراشدةِ عند الخليفة الراشد الثالثِ عثمانَ بنِ عفّان، وتستثني الإمامَ عليّ، إلى آخرِ السردياتِ المستعادةِ من التاريخِ الأموي.

لم أستطع الوقوف بشكل دقيق على أول من أطلق هذه الصفحات على مواقع التواصل؛ يمكن أن تكون الوحدة 8200 الإسرائيلية، أمر

وارد في ظل التخبط الإسرائيلي الذي يكاد أن يفقد التوازن أو الرؤية الاستراتيجية، بشكل عكسي مع زيادة القوة الإسرائيلية؛ فكلما زادت قوة إسرائيل، ضعف أداؤها الاستراتيجي، وضعفت قراءتها لعواقب ما تفعله، وتورطها في إحراج حلفائها وأصدقائها. مع ذلك، وأيّاً كان الذي أطلق هذا الاتجاه (الأموي)، فإنه بدأ يأتي أُكُله، والصفحات الوهمية أخذت طريقها لإيجاد صفحات لكتّاب وناشطين حقيقيين، في الدول الخليجية التي لعلها تحاول أن تجعل نفسها صدى للعصبية العربية التي رافقت الدولة الأموية. ومهما كان هذا الاتجاه مرحليّاً، ومهما تعارض مع سرديات الجهاديين الجدد، فإن الحلم الأموي عندهم هو حلم إمبراطوري، يستوعب العصبيات ولا يقتصر على واحدة منها، وهذا أيضاً لا يرضي الأتراك. مع ذلك كله، فإنه يسهم في التفاعلات التي تقود إلى الطوفان الجهادي القادم، الذي يراه بعض الباحثين العراقيين قادماً لا محالة.

وإذا عدنا إلى الاعتداء الإسرائيلي على إيران، فمن المهم أن نلاحظ أضراراً جانبية أخرى تتسق نتائجها بشكل يصب في مصلحة الجماعة الجهادية. فبعد تدمير غزة، والإبادة الجماعية التي وقعت على أهلها، ثم ما حدث مع حزب الله في لبنان، وصولاً إلى الاعتداء على إيران، واغتيال مجموعة من قادة حماس في قطر مطلع شهر أيلول، كلها عوامل تصب في مصلحة الجماعات الجهادية التي ستجد ترحيباً كبيراً بعودتها للساحة في ظل خذلان إسلامي كبير أمام الكيان الصهيوني، الذي يتصرف بحماقة كبيرة منتشياً بالقوة، غير مدرك للعواقب التي تسببها حملات الإبادة التي يقودها الكيان، غير مدرك أنه يسهم في إطلاق وحش لا يقل عن الكيان همجية، وقادر على أن يعصف بحلفائه، حلفاء إسرائيل والولايات المتحدة الذين تقصفهم إسرائيل باستهتار بوضعهم الدقيق وبصورتهم أمام مجتمعاتهم، مما يسلبهم الشرعية التقليدية التي يستندون إليها، ويضعهم في مواجهة مباشرة غير متكافئة مع الشرعيات الجهادية الجديدة بحلمها الأموي المستعاد.

كل هذه المعطيات تقودنا إلى فهم أن هذه الحرب القصيرة سوف تقود إلى تغيّرات طويلة الأمد تعصف بالمنطقة، وبالعالم الذي سيواجه سيولاً من النازحين والمقاتلين المنفردين، واختلالاً في سوق الطاقة. فماذا سنفعل كعراقيين؟ وما الذي يفكر به «أولو الأمر» منهم بالتعبير الإسلامي المستعاد في عصر التحول الديمقراطي أو النكوص السياسي الذي نعيشه؟

لِدولةٍ فاعلةٍ ومجتمعٍ مُشارِك

www.bayancenter.org
info@bayancenter.org